جامــعة واســط
مجلـــــة كليـــــة التربيـــة

العدد الثاني والأربعون
الجزء الثاني/شباط/٢٠٢١

المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية

م.د. أريج احمد حسين
areej.ahmed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

م. هديل غالب عباس
hadeel.abbas@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

الملخص:

لقد تنوعت وتعددت المنشآت العامة في المدينة الإسلامية فمنها ما كان أغراض دينية ومنها ما كان أغراضاً مدنية، واختلفت هذه المنشآت من عصر إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى لتلبي حاجات الناس الجماعية، وتولت السلطة في المدينة إنشاءها والإشراف عليها، وشاركها أهل البر والمعروف الذين أسهموا في إنشاءها، ووقفها ووقف الأوقاف عليها، لينتفع بها العامة ويتحقق الغرض من إنشاءها.

وتعد المؤسسات العامة جانباً مهماً من جوانب الحياة في المدينة الإسلامية كالمساجد والمدارس والمكتبات وغير ذلك من المؤسسات ومنشآتها المختلفة، لذلك فقد تم تقسيم بحثي هذا الى مبحثين المبحث الاول يتحدث عن المؤسسات الدينية التي تشمل المساجد ومنازل العلماء ومنشآت التصوف والمبحث الثاني يتحدث عن المؤسسات التعليمية التي تشمل المدارس والمكتبات وخزائن الكتب والإضاءة في المدينة.

Abstract:

The public establishments in the Islamic city have varied and varied, some of which were religious purposes, some of which were civil ones, and these facilities varied from one era to another, and from one city to another to meet the collective needs of the people. In establishing them, and endowing them, and endowments for endowments, so that the public can benefit from them and achieve the purpose of their establishment.

Public institutions are an important aspect of life in the Islamic city, such as mosques, schools, libraries, and other institutions and their various facilities. Therefore, my research has been divided into two chapters. The first topic talks about religious institutions that include mosques, scholars' homes, and mystic facilities. The second study talks about educational institutions that include Schools, libraries, bookcases and city lighting.

المقدمة:

تعددت المؤسسات العامة في المدينة الاسلامية ونقصد بها تلك المؤسسات التي يحتاجها عامة الناس والتي تمثل غياب أي منها نقصاً واضحاً في حياتنا كالمساجد وامكان التعليم والطرقات العامة .

لقد تنوعت وتعددت المنشآت العامة في المدينة الإسلامية فمنها ما كان أغراض دينية ومنها ما كان أغراضاً مدنية، واختلفت هذه المنشآت من عصر إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى لتلبي حاجات الناس الجماعية، وتولت السلطة في المدينة إنشاءها والإشراف عليها، وشاركها في ذلك أهل البر والمعروف الذين أسهموا في إنشاءها، ووقفها ووقف الأوقاف عليها، لينتفع بها العامة ويتحقق الغرض من إنشاءها.

وتعد المؤسسات العامة جانباً مهماً من جوانب الحياة في المدينة الإسلامية كالمساجد والمدارس والمكتبات وغير ذلك من المؤسسات ومنشآتها المختلفة، لذلك فقد تم تقسيم بحثي هذا الى مبحثين المبحث الاول يتحدث عن المؤسسات الدينية التي تشمل المساجد ومنازل العلماء ومنشآت التصوف والمبحث الثاني يتحدث عن المؤسسات التعليمية التي تشمل المدارس والمكتبات وخزائن الكتب والإضاءة في المدينة.

"**المؤسسات الدينية**"

١ – المسجد:

المسجد لغةً: اشتقت كلمة المسجد من الفعل سجد فيدل ذلك على انحناء الرأس أي الذل والخضوع لله سبحانه وتعالى، والمسجد هو بيت الصلاة وكل موضع يتعبد فيه هو مسجد.(١)

قال الله تعالى: وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً(٢).

أما المسجد اصطلاحاً:

هو مركز الإشعاع الديني ورمزه في المدينة، والقلب الروحي فيها، وهو لا يتوسطها من الناحية العمرانية فقط، ولكنه يتوسط الفكر الديني الإسلامي كله فيها أيضاً، وباعتباره قطبها الأول(٣).

والظاهر أن المسجد كان مركز الحياة الروحية والعقلية والسياسية في مختلف المدن الإسلامية، كما استخدم للقضاء ولإجماع الناس، كما كان وأخيراً مركزاً لبحث الشؤون الدينية والتربوية والاجتماعية(٤).

ففي المسجد استقبل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) سفراء الدول لتنظيم علاقته بدولهم، وفيه كان يخطب في جماعة المسلمين وينظم شؤونهم ويعلمهم أمور دينهم، وفي زمن الخلفاء الراشدين كان الخلفاء يعلنون من منبر المسجد الأحداث التي تواكب الفتوحات ويرشدون الجيش بخطب تسبق

تحركهم[٥] فكان المسجد هو الذي يجمع المسلمون ويبلغهم بالموقف فكان المسجد هو الذي يجمع المسلمون ويبلغهم بالموقف السياسي ومقررات الدولة أو يتلو عليهم أخبار المسلمين في البلاد الأخرى مع الصلاة[٦].

أخذ المسجد هذه الأهمية من موقعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها، فقد كان أول ما يختط ومن حوله تخطط خطط المدينة، وتنتهي إليه شوارعها وسككها وأزقتها، وكانت مدينة الرسول صلى الله عليه واله وسلم) المثال الأول على ذلك، فقد كان مسجد الرسول صلى الله عليه واله وسلم) أول شيء اختط في وسط المدينة[٧].

وسارت مدن الأمصار الناشئة على هذا النهج في اختيار موضع متوسط في المدينة لإقامة المسجد ومن أمثلة ذلك البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وغيرها[٨].

ولقد كان الهدف من اختيار الموضع المتوسط لإنشاء المسجد في المدينة الإسلامية لكثرة وظائفه، ليكون قريباً من كل أطراف المدينة حتى يسهل على المصلين التوجه إليه سواء كان من أهل المدينة أم المناطق المجاورة لها[٩] وقد تكاثرت المساجد في المدن بمقدار التكاثر السكاني وكثافته، من فترة إلى أخرى ليتسع لهذه الأعداد النامية من المصلين، وأصبحت ظاهرة توسيع المساجد ظاهرة عامة في تاريخ الكثير من المساجد في المدينة الإسلامية كالمسجد الجامع في البصرة والكوفة وبغداد وقرطبة وغيرها[١٠] وبلغ عددها في البصرة في القرن الثالث للهجرة حوالي سبعة آلاف مسجداً وكان عدد مساجد قرطبة في أواسط القرن الرابع للهجرة اربعمائة وتسعون) مسجداً على حد قول ابن حوقل[١١] أو ثلاثة آلاف حسب قول ابن جبير [١٢].

وتتباهى المدن الإسلامية وما تزال بسعة مساجدها، وإذا كانت السعة ناجمة عن سعة المدينة وكثرة سكانها بصورة أساسية فأن تزيينها إنما يرجع إلى أمرين شدة التقى وغنى الدولة التي تبنيها، وتعبر الشعوب كلها عن تقاها بالزينة التي تهبها لمساجدها. وليس يشذ المسلمون عن ذلك.

فالتقى جانبه الفني وجانبه الديني من جهة أخرى ونعني جانب التقى والبذل من أجل الله سبحانه وتعالى فالتأنق في البناء زيادة في التقى والتقرب من الله[١٣] وقد عرفت المدن الإسلامية عدداً حسناً من الجوامع الواسعة لكل السعة، وكان أولها دون شك مسجد مكة الذي أقيم حول الكعبة وقد طهره الرسول الأعظم من الأوقات بعد أن جعله الله قبلة المسلمين.

والكعبة مكعب طول ضلعه ١٢م تقريباً، ويقوم من حولها ساحة واسعة هي صحن المسجد للطواف والصلاة ويحيط بالصحن أروقة تحملها أقواس على أعمدة .

والكعبة مغشاة بستار، كان الخلفاء العباسيون ثم الفاطميون يتبارون في تزيينه بالآيات الزهية وإهدائه كل سنة إليها، وقد جدد هذا المسجد "عدة مرات تبعاً للحاجة التي تظهر مع ازدياد عدد المسلمين" [١٤].

وبعد ذلك انتشرت ظاهرة إنشاء المساجد الجامعة في المدينة الإسلامية، بل إن مساجد الخمسة والمدارس التي كانت تشتمل على مساجد، وكذلك الخانقات[١٥] مفردها خانقة والخانقة كلمة فارسية الاصل مشتقة من الخان وهو البيت ثم اطلقت على رباط الصوفية عند المسلمين ومعنى خانقاه في الاصل هي البيوت التي كانت تقام لإيواء الصوفية الذين كان يختلون اليها للعبادة وكانت تعرف ببيوت الصوفية او مقام الدراويش والفقراء[١٦] . والزوايا جمع زاويا والزاوية من البيت الركن وزوى الشيء يزويه بمعنى جمعه والسبب في اطلاق اسم الزاوية لانها تجمع الناس[١٧] فالزاوية مأخوذة من فعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا من اركان المسجد للاعتكاف والتعبد[١٨]حولت الكثير منها الى مساجد جامعة بإضافة منبر وتعيين خطيب. وتعتبر القاهرة من المدن الإسلامية التي انتشرت فيها هذه الظاهرة انتشاراً واضحاً في عصر المماليك وتبع ذلك ضمور تأثير المسجد الجامع في تخطيط شوارع المدينة[١٩].

٢ – منازل العلماء ومجالسهم:

لقد كان لمنازل العلماء دور كبير في رفد المراكز الدينية في المدينة الإسلامية، ولاسيما في القرون الأولى إذ لم تظهر المدارس والربط[٢٠] مفردها رباط مشتقة من ربط الشيء اي شده واصل الرباط مرابط الخيل وهو ارتباطها بازاء العدو في بعض الثغور لمنعه من الدخول الى بلاد المسلمين ، اي ان اهل الاربطة يقضون حياتهم في التدريب العسكري والحراسة وفي التعبد لله سبحانه وتعالى، ووصف الرباط ايضا بانه الاقامة على جهاد العدو لذلك اقترنت تسمية المجاهد بالخيل ، فاصل الرباط مايربط به الخيل فالمجاهد هو المرابط[٢١] ، فقد كان الكثير من العلماء يعقدون مجالسهم العلمية سواء أكان مجلس إملاء أو وعظ أو تذكير أو غير ذلك في منازلهم او بيوتهم[٢٢].

ويذكر القفطي[٢٣] أن أبا الحسن المنجم (٣٠٠هـ/٩١٢م) كان كثيراً ما يجتمع في منزله ببغداد بكبار العلماء يتذاكرون ويتناظرون في مواضيع شتى ومنهم أبو حيان التوحيدي ٤١٤هـ/١٠٢٣م) وقد ألف أبو حيان كتابه الأمتاع والمؤانسة على أساس هذه المجالس، وكانت دار الامام الغزالي ٥٠٥هـ/١٠١١م) مرتاداً للعلماء والطلاب ببغداد، بعد أن اعتزل وعكف على تأليف كتاب إحياء علوم الدين، وكان منزل يعقوب بن كلس (٣٦٨هـ/٩٧٨م– ٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٢٤] في القاهرة أيام العزيز بالله

الفاطمي (٣٦٥هـ/٩٧٥م – ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) يمتلئ بالطلاب كل يوم جمعة ليقرؤا عليه كتابه في فقه الإسماعيلية وغيرها[٢٥].

أما المجالس العلمية الأخرى عند اسطوانات المسجد فهي التي كانت تقود الحركة الأساسية في ثقافة المدينة اذ لم يخلو منها جامع في مدينة، بل في قرية أيضاً، ولها آدابها كما أن لها مكانتها الفكرية، ومواعيدها المقررة ومكانها المحدد[٢٦].

وقد تبلغ حلقة بعض العلماء عدة مئات من المستمعين كحلقة أبي علي القالي ٣٥٦هـ/٩٦٧م)[٢٧] صاحب كتاب الأمالي في مسجد قرطبة وحلقة رضي الدين النيسابوري ٦١٧هـ/١٢٢٠م)[٢٨] الذي فاق على علماء عصره وعرف بأستاذ البشر وكانت حلقته في بخارى تضم أربعمائة من الطلاب والفضلاء بسبب اهتمامه فضلاً عن الإملاء بعقد المناظرات والحوار والمناقشة والاجتهاد بالرأي حتى قيل عنه أنه جعل المناظرة علماً له أصول وقواعد وضوابط[٢٩].

وكما خصبت المجالس في المادة تنوعت في العلوم وكان أهم مجالس العلماء ما يختص بالتفسير والحديث والفقه ولكنها كانت أيضاً للشعر والأدب والمنطق والطب أحياناً وثمة مجالس اللغويين والنحويين والإخباريين[٣٠].

وثمة نوع آخر من مجالس العلم هو الصالونات (المنتديات الثقافية) والمجالس لدى الخلفاء والوزراء في القصور وكان الكثير منهم منذ عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ/٦٦١م–٦٠هـ/٦٨٠م) وعبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٥م–٨٦هـ/٧٠٥م) يخصص جانباً من ليلة في الأسبوع لاستقبال العلماء والأدباء والشعراء وأهل الفكر يبرزون فيه ما لديهم ويتناظرون[٣١].

واشتهرت بذلك مجالس هارون الرشيد الأدبية–اللغوية (١٧٠هـ/٧٨٦م–١٩٣هـ/٨٠٩م) واشتهر بيت الحكمة الذي أنشئ للترجمة وحفظ الكتب وقد رعاه بعد ذلك المأمون (١٩٨هـ/٨١٣م–٢١٨هـ/١٣٣م) وزاد فيه واستقطبت الاهتمام مجالس المأمون الفلسفية وفي بعضها نشأت فكرة خلق القرآن لديه فظلت مشكلة فكرية في العالم الإسلامي سبعة عشر سنة واضطهد فيها الكثيرون[٣٢] ومن هذه المجالس ما كان يعقده الوزراء أمثال الوزير ابن الفرات أبي الفضل جعفر) ٣٩١هـ/١٠٠٠م) وقد انعقد آخر مرة سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م، وفيه قدامة بن جعفر٣٣٧هـ/٩٤٨م) أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، وفي مجلس أبي عبد الله الحسين بن سعدان(٣٧٣هـ/٩٨٣م– ٣٧٥هـ/٩٨٥م) وزير صمصام الدولة البويهي (٣٧٣هـ/٩٨٣م–٣٧٧هـ/٩٨٧م) كان يجتمع أبوحيان التوحيدي بابن مسكويه (٤٢١هـ/١٠٣٠م) المؤرخ وابن زرعة الفيلسوف النصراني (٣٩٨هـ/١٠٠٨م) وأبي الوفاء المهندس البوزجاني (٣٨٨هـ/٩٩٨م)[٣٣].

وبديهي أن هذه المجالس العلمية لم تكن مشابهة، ولا كانت في علم واحد، فقد كانت ثمة آلاف منها بكل صقع، ولهذا تعددت نوعهاً وكمها وكيفيتها، وعليها إقبال عظيم لأنها تعطي للطالب فرصة الحوار والمناقشة بالرأس والجدل حوله[٣٤].

٣- منشآت التصوف:

... تعتبر منشآت التصوف من خانقات وزوايا وأربطة من أهم المؤسسات الدينية التي توافق ظهورها مع ظهور المدارس[٣٥]. وقد مر التصوف الإسلامي بعدة مراحل تطور مختلفة بدأت من مظهر الزهد والتقشف في عهد الرسول (صل الله عليه واله وسلم) الخلفاء الراشدين إلى مظهر ترك الحياة الدنيا والتفرغ للعبادة الفردية في العصر الأموي، وهو مظهر زاد من حدته الغبن والجور اللذين أصابا كثيراً من العامة نتيجة تحول الخلافة إلى ملك عضوض في هذا العصر، واستغلال الثروة والمال من جانب الخلفاء في مظاهر الترف والرفاهية على حساب الفئات البسيطة من المجتمع[٣٦].

وقد اشتد هذا التيار قوة في عهد العباسيين وبدأت ظاهرة التعدد والتنظيم الجماعي لفئات المتصوفة، ودخلت الدولة في صراع معهم تحت تحريض الفقهاء[٣٧].

وازداد عدد المتصوفة في مدن العراق والشام ومصر وفي مدن الأندلس، والسبب في ذلك ردة الفعل على مظالم الحياة العامة ورفضهم لها[٣٨].

وإذا جرب بعض الفرق الجواب عليها بالثورة كما فعل القرامطة[٣٩] وبعض الخوارج فأن الصوفية ردوا عليهم بالانسحاب من الحياة والاعتكاف والخلوة مع الله[٤٠].

وقد أنشأت لهم مبان خاصة بهم يختلون فيها للعبادة ويقيمون فيها إقامة تامة أطلق عليها الخانقات .

وكانت كل خانقاه وحدة قائمة بذاتها في داخلها غرف الخلوات وفيها حمام ومطبخ وفي بعضها خزائن للأدوية وقد يخصص لها طبيب، وللصوفية آداب في الخانقاه واجتماعات أسبوعية ونظام صارم في الزيارات والغياب والطعام، ولكل منهم سجادته ولكنهم لا يتحركوا إلى شيء إلا بأمر الشيخ ولا يقبلون زائراً إلا بعد اختياره وربط النساء كانت أشد صرامة في الملبس والسلوك[٤١].

ومع شيوع وانتشار التصوف الذي خالطته الأغراض المادية أنشئت الرّبط) كمبانٍ للمتصوفة الذين يريدون أن يقضوا بقية حياتهم متفرغين للعبادة والصلاة دون أن يرتقوا في درجات التصوف المختلفة التي كانت في الخانقات، أي أنها كانت بمثابة الملاجئ التي يأوي إليها العجزة والبطالون الذين ليس لهم دخل يعيشون منه حياة راضية متفرغين للعبادة[٤٢].

وقد ساهمت هذه المنشآت بما تشتمل عليه من وحدات معمارية أخرى تستخدم كمرافق عامة كالميضآت والأسبلة والكتاتيب والمكتبات ووحدات سكنية في توفير خدمات عامة للقاطنين في المدينة الإسلامية والواردين إليها(٤٣).

وكان لكل منشأة من هذه المنشآت جهازها الإداري المستقل المسؤول عن إدارتها ورعاية أمورها، سواء كان جباية ريع أوقافها وحرفة حسب ما تحدده وثيقة الوقف أم مباشرة ما يتعلق بأداء وظائفها من صلاة وتدريس وتصوف، وكلفت الدولة بسلطاتها القضائية والتنفيذية رعاية هذه المنشآت من خلال ديوان الأوقاف الذي يختص بشؤونها ورعاية مصالحها، فاستمرت في أداء وظيفتها ومشاركتها مشاركةً قوية في بناء حياة المجتمع وحضارته(٤٤).

ومما سبق يتضح لنا أن المؤسسات الدينية الإسلامية لكل منها ما هو عام الارتفاق لكل المسلمين كالمساجد، والمساجد الجامعة، ومنها ما كان عام الارتفاق في حدود شروط الوقف التي ربما تحدد نظاما للارتفاق كالخانقات والزوايا والربط وغيرها(٤٥).

المؤسسات الثقافية:

المدارس:

... المدرسة لغةً لفظ مشتق عند العرب، من الفعل درس، للفعل درس معانٍ عديدة فهو يأتي بمعنى قرأ، ودرسوا ما فيه، أي قرأوا ما فيه.

وقد جاء في المعاجم العربية، أن المدرسة موضع الدرس والجمع مداريس(٤٦).

أما **المدرسة بمعناها الاصطلاحي:** هي الأمكنة التي كانت تشاد لاقراء القرآن وتلاوة آي الذكر الحكيم(٤٧). وتعد المدارس من المراكز والمؤسسات التعليمة المهمة التي بدأت بالظهور في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وبداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (٤٨) فبعد أن للمساجد الدور الرئيس والأساس في عقد الحلقات العلمية وإجراء المناظرات فيها، أصبحت المدارس التي كانت ظهورها نتيجة حتمية للتطور العلمي الحاصل في المدن الإسلامية.

فضلاً عن تزايد أعداد الطلاب الذين يرتادون المساجد لتلقي العلوم، ولكثرة الحلقات الدراسية فيه وما يحدث فيها من مناظرات ونزاعات واختلافات في الرأي ومن أسئلة ومناقشات كانت تؤدي إلى إحداث ضجيج كبير في المسجد، فدعى ذلك كله إلى إيجاد مراكز تعليمية مستقلة ومخصصة للتعليم فقط ألا وهي المدارس(٤٩).

وما أن حل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حتى بدأ نوع آخر من المدارس بالظهور، تميز عن المدارس الأخرى وانتشر في العالم الإسلامي، أوجد فكرته وملامحه الوزير نظام الملك السلجوقي (٤٥٥هـ/١٠٦٢م- ٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٥٠] الذي أسس العديد من هذه المدارس التي تسمى بالنظاميات[٥١].

وقد أخذت المدارس طابعاً مشتركاً فكانت متشابهة التخطيط والبناء في العالم الإسلامي كله، فلها باب أو بوابة كبيرة مزخرفة كأبواب بعض الجوامع كما في المدرسة الظاهرية بدمشق (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، والمستنصرية (٦٢٥هـ،/١٢٢٧م) والمرجانية (٧٥٨هـ/١٣٥٦م) والشرابية القصر العباسي (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) في بغداد[٥٢].

ثم ساحة تعرف بالصحن تحيط بها الحجرات في طابقين على الأغلب لإيواء الطلبة والمدرسين وغالباً ما تحوي أروقة أمام الحجرات وهي بدورها مزخرفة أو مقر نصة وفي أغلب المدارس إيوان واحداً أو اثنان وقد تكون أربعة أواوين متقابلة، ولا علاقة للدواوين وعددها بالمذاهب الدينية التي تدرسها المدرسة، فالإيوان طراز معماري لم يستخدم أبداً في تحديد المذهب[٥٣].

أما أعداد المدارس فكانت في بغداد على ما يذكر ابن جبير[٥٤] سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) كانت المدارس بها نحو الثلاثين، وهو كلها بالشرقية وما منها مدرسة ألا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية.

ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات رحبة تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في آمر هذه المدارس والبيمارستانات[٥٥] شرف عظيم وفخر مخلد[٥٦].

والواقع أن مدارس بغداد تجاوزت الثلاثين وكانت عند سقوط المدينة بيد المغول ثمانية وثلاثين مدرسة وكان في الوقت نفسه تقريباً أكثر من اربعه واربعون مدرسة بنيسابور[٥٧] ، وأكثر من خمسة مدارس في مرو[٥٨] منها المدرسة العميدية[٥٩] والمدرسة الغزنوية (٤١٠هـ/١٠١٩م) ومدرسة أبي طاهر الشباك الجرجاني (٥١٣هـ/١١١٨م) بجرجان[٦٠] .

ويذكر المقريزي[٦١] أنه كان في دلهي بالهند من المدارس الإسلامية ما عدته ألف مدرسة كلها للحنفية إلا واحداً للشافعية.

وقد وصلت هذه المدارس إلى أرقى المستوى من التنظيم والإدارة والمستوى العلمي الذي ينعكس بصورة جلية في الموسوعات العلمية والتاريخية والمخطوطات الأخرى التي تزخر بها المتاحف

والمكتبات العالمية وأرست هذه المدارس نظام وتقاليد علمية راسخة تأثرت بها واتبعتها الجامعات الأوربية ومازالت مستمرة حتى الآن[٦٢]).

وساعد نظام الوقف[٦٣] مساعدة بالغة على إنشاء هذه المؤسسات باعتبارها منشآت موقوفة، وعلى استمرارها في أداء وظيفتها باستمرار الأوقاف الموقوفة عليها، من أرض وعقار كانت في الغالب منشآت مدنية كالمقصورات والوكالات والرباع والحوانيت وغيرها من المسقفات التي كان يهتم بعماراتها ليستمر توارد ريعها للصرف منه على المؤسسات الدينية والثقافية الموقوفة[٦٤] واهتم أيضاً باستغلال فائض الريع في شراء وإنشاء مبان أخرى تزيد الأوقاف وتنميها، كل ذلك انعكس بصورة أو بأخرى على المظهر المادي للمدينة الإسلامية من عصر السلاجقة حتى العصر العثماني[٦٥].

٢ – المكتبات وخزائن الكتب:

تعد المكتبات وخزائن الكتب من المؤسسات التعليمية المهمة التي تساعد طلاب العلم والعلماء على حد سواء في الاستزادة من بحور العلم والمعرفة، فهي تهيئ للباحثين والدارسين سبل العلم والمعرفة، ولذلك فقد أكثر مؤسسوا المدارس من إيقاف الكتب فيها وبشتى الأنواع والعلوم والفنون[٦٦].

ولأهمية هذه المؤسسات فقد عمل مؤسسوها على إنشاء المباني الخاصة لها وتعيين النظار والمشرفين عليها فقد كان لكل خزينة من خزائن الكتب شخص أمين عليها أو خازن لها أو شاهد لها[٦٧].

وقد اختلفت طرائق الإعارة في هذه الخزائن من مدينة لأخرى، فقد كانت هناك ضوابط للإعارة كما يصفها ابن خلدون[٦٨] بقوله: (لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية إلا إذا كان المستعير شخصاً موثوقاً به وأميناً، على أن يدفع ضماناً هاماً وأن يرد الكتاب مدة لا تتجاوز الشهرين).

غير أن المكتبات لم تظهر بشكل واسع، ولم تتسع الكتب نفسها إلا منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بعد انتشار الورق وكان امتلاك مكتبة في أي منزل علامة ارستقراطية وغنية[٦٩].

والرواة للحديث النبوي ولأخبار العرب والشعر هم الذين اهتموا بأن تكون لهم مكتباتهم الخاصة لأنها من صناعتهم وهي تكبر وتصغر حسب مبلغهم من الغنى، وقد يبيع بعضهم كتابه من الفقر، ولقد يغسله ليكتب عليه أمراً آخر فثمن الكتاب مرتفع وأجرة نسخه مرتفعة بدورها[٧٠]. وقبل أن تنفصل المدرسة عن الجامع كان في كل مسجد مكتبة تحوي مختلف الكتب التي أوقفها أصحابها عليه وعلى رأسها نسخ عددية من القرآن الكريم يقرأ فيها الناس فلما انفصلت المدرسة لم تختفي مكتبات المساجد في المدن ولكنها تضاءلت عدداً واقتصر معظمها على نسخ القرآن الكريم وعلى الكتب الدينية فقط[٧١].

وكانت المكتبات قد تكونت في جميع المدن العربية الإسلامية وكان النسّاخ والوراقون قد أصبحوا صناعة هامة في المجتمع الإسلامي، فعلى اساس المكتبة بنى بقاء العلم الإسلامي وتناقله(٧٢).

ولهذا وجدت في المدن الإسلامية أنواع من المكتبات هي التي احتفظت بالتراث العربي الإسلامي(٧٣) ويمكن أن نصنفها إلى:-

أ- المكتبات العامة.

ب- المكتبات الخاصة.

جـ- مكتبات المدارس.

أ- المكتبات العامة:

ونقصد بها المفتوحة للرواد، والواقع أن معظمها كان نصف مدرسة تؤدي الطلاب وترزقهم الأجور ولم يكن يرتادها إلا فئة محدودة هي العلماء والطلاب الباحثون فهي مؤسسات لخدمتهم، كما أنها على أي حال قليلة العدد في المدن وتقوم على الوقف ومنها دار الحكمة الذي أنشأها الرشيد في بغداد(٧٤).

ولم يكن الورق قد انتشر كثيراً بعد فكانت للتراجم والنساخين ولمن يود الإطلاع على علوم الأوائل ونسخ الترجمات، وقد زادها المأمون مجموعات أخرى من الكتب ثم زاد الخلفاء العباسيون من بعد فكانت طوال العصر العباسي مجمعاً للعلماء طوال العصر العباسي مجمعاً للعلماء والباحثين والطلاب، وذكر القلقشندي(٧٥) أنها ظلت قائمة حتى دخل المغول سنة (٦٥٦هـ /١٢٥٨م) بغداد فاندثرت مع ما أندثر.

ب- المكتبات الخاصة:

وتشمل المكتبات التي يؤسسها السلاطين والحكام والأمراء العلماء والأدباء، وهي بدورها كثيرة جداً، وأولها مكتبات الخلفاء سواء منهم الأمويين أم العباسيون أم الفاطميون، ومن الأمثلة مكتبة الخلفاء الأمويين في قصر الخضراء بدمشق(٧٦).

وقد أخرج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (٩٩هـ/٧١٧م – ١٠١هـ /٧٢٠م) منها كتاباً في الطب استخار أربعين يوماً قبل أن يدفعه للناس وقد دخل المقدسي(٧٧) خزانة الكتب في دار عضد الدولة البويهي (٣٦٧هـ/٩٤٩م – ٣٧٣هـ /٩٨٣م) ووصفها بأنها: (حجرة على حده، عليها وكيل وخازن مشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها، وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن في كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاث أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من

فوق، والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرسات فيها أسامي الكتب ولا يدخلها إلا كل وجيه .

ولم تكن المكتبات الخاصة حكراً على الخلفاء فقد كان في كل مدينة أكثر من سري بارز لديه مكتبة فقد صارت هواية الكتب منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي جزءاً من علامات المثقف ومن زينة البيوت وأثاثها(٧٨).

جـ- مكتبات المدارس:

وكانت جزء مهم من أجزاء المكتبات وخزائن الكتب، فجميع مدارس العالم الإسلامي حوت المكتبات التي يرجع إليها المدرس والطالب(٧٩).

فالمدرسة النظامية ببغداد اشتهرت بمكتبتها شهرتها بمدرسيها وكان مجتمع نوادر الكتب، فقد ذكر ابن الجوزي(٨٠) أنها ستة آلاف.

أما ابن الأثير(٨١) فقد ذكر أن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٧هـ/١١٨٠م-٦٢٣هـ /١٢٢٥م) أمر بعمارة خزائنها ونقل إليها من الكتب الفنية ألوفاً لا يوجد مثلها وكان للمدرسة المستنصرية ببغداد مكتبة غنية منظمة نقل إليها يوم افتتاحها ما حمله مائة وستون جملاً وأن عدد هذه الكتب بلغ ثمانين ألف مجلد.

ومعظم هذه المكتبات كانت منظمة ولاسيما الكبيرة منها فكانت لها خزائن تصف فيها الكتب بعضها فوق بعض ولها فهارسها، ولكل علم أو فن خزانة ومكانة من الفهرس وقد أمر بوضع فهرس خزانة الكتب الفاطمية الوزير أبو القاسم الجرجائي (٤١٨هـ/١٠٢٧م-٤٣٦هـ/١٠٤٥م سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م)(٨٢) ، ولم تكن بها من قبل فهارس(٨٣).

ومن جملة التنظيم كان لكل مكتبة كبيرة مشرف أو قيم من أهل الدين والورع، هو الخازن وهناك ناسخ أو أكثر ومجلداً أو أكثر، فكان سهل ابن هارون (٢١٥هـ/٨٣٠م) خازن بيت الحكمة، وابن مسكويه خازن مكتبة ابن العميد، كما كان لكل مكتبة في عصر الترجمة ويكون خزائن الكتب مترجمون كما كان فيها دوماً مجلدون(٨٤) هذه العناية الفائقة بالكتب تعكس الموقع الحضاري والثقافي للأداة الثقافية الأولى في المجتمع الإسلامي.

ولأهمية هذه المؤسسات ودورها الحيوي في المسيرة التعليمية، فقد أسهمت الأوقاف إلى حد كبير في تحفيز النشاط الثقافي لهذه المؤسسات إذ أنها لما وفرته من أسباب استفادة طلاب العلم وشيوخهم من وقف المكتبات العامرة بأمهات الكتب الأصلية ونفائسها، فقد أوقف الكثير من خزائن كتبهم وما

لديهم من مؤلفات ونتاجات علمية خلال رحلاتهم العلمية المفعمة بالنشاط الثقافي، يكلفون بذلك استمرارها في تقديم خدماتهم حتى بعد وفاتهم بوصفها من أعمال البر والتقوى(٨٥).

٣ – الإضاءة في المدينة:

... عرف العرب قبل الإسلام جمع وسائل وطرق الإضاءة المعروفة ولاسيما أولئك الذين كانون يعيشون منهم على أطراف الجزيرة العربية في اليمن والإحساء والبحرين والحجاز أو في مشارف الشام وحافة السواد العراقي(٨٦).

وكان أكثرها شيوعاً وسائل الإنارة بالزيوت ثم بالشموع، وقد يكونوا قد عرفوا نوعاً من الإنارة بالنفط الذي استخدمه الساسانيون(٨٧) على حوافي العراق أما النار المطلقة فكانت لسكان البادية وقد يوقدونها لعقد الأحلاف ولاستدعاء النجدات عند الحرب أو للسمر في الليل، وقد كانت النار على أي حال أساس كل عمليات الإضاءة وكان يستخدم فيها سعف النخيل(٨٨). ولم يزد العهد الإسلامي شيئاً عن مواد الإضاءة الثلاث الزيت والشمع والنفط، ولكنه تفنن في إخراج الوسائل التي تحتضنها والأدوات التي تبرز بها النار وتحمل من مكان لآخر.

١ – الأسرجة:

كانت هي الشائعة في العالم الإسلامي، هي ليست أكثر من وعاء فيه زيت وله فتيل، وزيت الزيتون متوفر في أنحاء المملكة الإسلامية في الأندلس وأفريقيا والشام وفارس، وكان السراج في أول الأمر يستعمل للبيوت وللمساجد وفي القصور ولدى الطبقات المتواضعة(٨٩).

وتساوى في استخدام السراج للإضاءة الخلفاء والعامة وكان الفرق فقط في نوع السراج من الطين أو الزجاج أو الخزف أو خلائط النحاس، وفي الكبر والصغر وفي الزخرفة الذي تقع عليه(٩٠).

وقد استخدم في العهد الأموي والعباسي على السواء حتى العهد الفاطمي والمملوكي.

وكان السلطان هو الذي يتكفل بإضاءة المساجد والمؤسسات من مدارس وزوايا وربط ودور حديث وقد ذكر أن المعتصم (٢١٨هـ/٨٣٣م –٢٢٧هـ /٨٤٢م سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م) كان أول من أنفط وأسرج بيت المأزمين في طريق عرفة... وتلألأت الأنوار في الحرم المكي والمسجد النبوي خيفة أن يعدوا اللصوص على المعتمرين فهي مطردة للشيطان ومذبة للهوام ومدلة على اللصوص(٩١) وأما القناديل أو المصابيح) فكانت خطوة متقدمة على السراج أنها ببساطة طريقة لإضافة الزجاج الشفاف حول ذيالة السراج ثم تعليقه إن شاء حامله يدل إثباته الدائم على قاعدة، وقد كانت القناديل معروفة منذ القدم، ولكنها لم تكن مبذولة للناس بسبب تكاليفها فاختصت بها دور العبادة بالذات، كما حملت للكبراء والموسرين في سراهم ليلاً بالشوارع ووضعت على أبوابهم.

وتذكر المصادر التاريخية أن المأمون الخليفة العباسي أمر بالاستكثار من المصابيح في المساجد وكلف كاتبه احمد بن يوسف بن القاسم اللبان (٢١٣هـ/ ٨٢٨م) بذلك إلى جمع عمال الدولة وكذلك اهتم احمد ابن طولون (٢٥٤هـ/٨٦٨م – ٢٧٠هـ/٨٨٤م)[٩٢] حين بنى مسجده الضخم في القطائع أن يضيئه فعلق بسقفه السلاسل النحاسية المفرغة والقناديل المحكمة[٩٣].

وقد تطورت صناعة القناديل جداً في العهد الإسلامي فإذا كانوا قد جمعوا بعض الأسرجة إلى بعضها فقد كان إمكان جمع القناديل أوسع بسبب ما يمسكها من المعادن ولأنها على الأغلب ثابتة معلقة.

٢ – الشمع:

كان في استخدام الشمع في الإضاءة نوعاً من الترف لارتفاع ثمنه ولاعتياد الناس على تقديمه، أو حمله في المواكب والاحتفالات، وكان يباع بالوزن واشتهرت أصبهان[٩٤] بإنتاجه وكانت تحمل في جملة خراجها السنوي إلى السلطان ألف رطل منه[٩٥].

وكان للشموع أنوار كالمصابيح والقناديل تجمعها مجموعة في إطار واحداً واثنين أو ثلاثة وتثبت الشموع فيها بأشواك أو بركائز ويمكن في هذه الحالة تعليقها في المعابد وغرف القصور.

أما الشموع المحمولة فكانت تحتاج الشماعد التي تمتد من الوعاء الصغير الذي يحمل شمعة واحدة إلى القاعة ذات الفروع المتعددة وتصنع الشماعد من الحديد والنحاس والبرونز والذهب والفضة كما قد تصنع من الخزف[٩٦].

وكانت الإضاءة بالشموع متوفرة وممكنة وبخاصة لذوي البسطة واليسار ولكنها كانت هناك شموع مكلفة ومن أمثلتها الشموع العنبرية وهي الممزوجة بمادة العنبر حيث أنها تملأ المكان برائحة العنبر الفواح عندما تضاء. والشموع الكافورية وهي غالية الثمن بسبب مزجها بالكافور ورائحتها الزكية[٩٧].

وشموع العنبر والكافور كانت تختص بالاحتفالات الكبرى كأعراس الملوك والوزراء وهي التي استعملت في أعراس الرشيد والمأمون والمعتضد (٢٧٩هـ/٢٩٢م – ٢٨٩هـ /٩٢٠م).

فأوقد الرشيد لزبيدة شموع العنبر، وأوقد المأمون في عرس بوران بنت الحسن بن سهل شمعة عنبر فيها اربعون مناً في تور من الذهب وزاد المعتضد حين تزوج بقطر الندى (اسماء بنت خمارويه بن احمد بن طولون) فأوقد أربع شمعات من العنبر في أربع أتوار من الذهب[٩٨].

وثمة أنواع أخرى من الشموع كالموكبية وتكوين طويلة ثخينة القطر وقد تحمل على العجل، والفانوسية وهي صغيرة للفوانيس، والثلاثية المثلثة الذبالة والطوافة التي يطاف بها في البيت [٩٩].

وقد كانت للمصابيح والشموع خدم في القصور أو قومة في المساجد يقومون على تنظيفها وصيانتها الدائمة وكانوا بصورة خاصة في العهد الفاطمي يتقاضون رواتبهم من السلطان.

أما في بغداد والمشرق وفي الأندلس فكان القاضي هو الذي يشرف على شؤون المساجد وشموعها ومصابيحها ونظافتها وقومتها وينفق على ذلك من أوقافها(١٠٠).

الخاتمة:

من خلال بحث المؤسسات العامة في المدينة الاسلامية توصلت إلى عدة نتائج ومن أهمها:-

١-تميزت المدن الإسلامية بانتشار المؤسسات الدينية متمثلة بالمساجد ومنازل العلماء ومنشآت التصوف التي برز وجودها في المدن الإسلامية والفتوحات.

ومنذ بداية الفتح العربي الإسلامي لها، فقد ابتنى العرب الفاتحين الكثير من المساجد في المدن الإسلامية، وإلى جانب ذلك فقد كانت تعقد فيها الحلقات العلمية إلى جانب الشعائر الدينية التي تقام في المساجد، ولهذا دعت الحاجة إلى إيجاد مراكز أو مؤسسات تعليمية تكون مهمتها هو الجانب العلمي لذلك فقد ظهرت المدارس، والمكتبات وغيرها... الخ.

٢-ساهمت المؤسسات الدينية والتعليمية إلى حد كبير في تحفيز النشاط الثقافي في المدن الإسلامية، إذ أنها ساهمت في إعانة طلاب العلم والعلماء على الاستزادة في طلب العلم، وذلك من خلال ما وفرته لهم من المكتبات فكان بعضها ذات طابع عام يفتح ابوابه لكل الراغبين بالعلم بينما تمتع بعضها ببعض الخصوصية مثل قصور الخلفاء ومنازل العلماء وخزائن الكتب لاستفادة أكبر عدد ممكن من الطلبة، أو من خلال إنشاء بعض المدارس كوقف لخدمة الطلاب والعلماء، كالمدرسة العميدية والنظامية وغيرها... الخ.

٣- إن المؤسسات الدينية التعليمية وتنوع المجالس العلمية كان لها الأثر البالغ في رفد الحياة العلمية، وإعطاءها دفعة إلى الأمام.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

- **القرآن الكريم.**

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ت٦٣٠هـ/١٣٣٢م، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٢- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار، بيروت، ١٩٦٤م.

٣- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بلا.ت.

٤- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد ت٦١٤هم١٢١٧م، رحلة ابن جبير، مكتب الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٥- ابن الجوزي، الشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩١م.

٦- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ت٣٦٧هـ/٩٧٧م، صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، ١٩٧٩.

٧- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث، بيروت، بلا.ت.

٨- مقدمة ابن خلدون، مطبعة دار العودة، بيروت، بلا.ت.

٩- البلاذري، احمد بن عبد بن جابر ت٢٧٩هـ/٨٩٢م، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

١٠- السمهودي، نور الدين علي بن احمد ت٩١١هـ/١٥٠٥م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.

١١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.

١٢- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

١٣- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت.

١٤- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٧م، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تعليق حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

١٥- المقدسي، أبو عبد الله احمد بن محمد البشاري ت٣٧٥هـ/٩٨٥م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، دمشق، بلا.ت.

١٦- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م، الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، مصر، ١٩٧٠م.

١٧- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ٧١١هـ/١٣١١م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا.ت.

١٨- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بلا.ت.

المراجع الحديثة:

١- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٤م.

٢- الرحيم، عبد الحسين مهدي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بلا.مط، بغداد، ١٩٩٤م.

٣- طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧م.

٤- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطبعة الرسالة، الكويت، ١٩٨٨م.

٥- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٦- مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م.

٧- معروف، ناجي، مدارس قبل النظامية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٣م.

٨- الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

٩- ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، بلا.م، ١٩٨٦م.

الهوامش:

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا.ت، جـ٣، ص٢٥١.

(٢) سورة الجن، الآية/١٨.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، جـ١، ص١٦٧.

(٤) المصدر نفسه، جـ١، ص١٦٧.

(٥) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٤م، جـ١، ص٥٢٤.

(٦) الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٤٠.

(٧) السمهودي، نور الدين علي بن احمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م، جـ٢، ص٧١٨.

(٨) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٨.

(٩) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطبعة الرسالة، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢٣٥.

(١٠) المرجع نفسه، ص٢٣٥.

(١١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص١١٥.

(١٢) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، مكتب الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص١٧.

(١٣) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، جـ٢، ص١٩١.

(١٤) المقدسي، أبو عبد الله احمد بن محمد البشاري (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، دمشق، بلا.ت، ص١٧١.

(١٥) الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ – ٩٩٧م)، مفاتيح العلوم ، تحقيق ابراهيم الابياري ، ط٣ ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٩ ، ص٦٦ .

(١٦) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت ابن عبدالله (ت٦٢٦هـ–١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، بلا ت ، ج٤ ، ص٣٥٧.

(١٧) الرازي: محمد بن ابي بكر عبد القادر ، (ت٦٦٦هـ – ١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ ، ص١١٧ .

(١٨) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت٨٤٥هـ – ١٤٤١م)، الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار، مطبعة بولاق ، مصر ١٩٧٠ ج٢ ، ص٤٣٥ .

[١٩] عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٣٨.

[٢٠] الرازي : مختار الصحاح ، ص٩٧ .

[٢١] ابن منظور : لسان العرب ، ج٧ ، ص١٨٨ .

[٢٢] متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ١، ص٢٥١-٢٥٢.

[٢٣] القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت، ص٤٢٠.

[٢٤] هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن داود وقد ولد لعائلة يهودية الاصل في بغداد سنة ٣١٨هـ- ٩٣٠م، وتعلم الكتابة والحساب وقد رافق والده في سفره من بغداد الى بلاد الشام ثم سافر منها الى مصر سنة (٣٣١هـ - ٩٤٢م)، وكان كبير الهمة قوي النفس عظيم الهيبة ، وقد اثارت تلك الصفات اهتمام الملك العزيز بالله الفاطمي واصبح اول وزراء الدولة الفاطمية في العاصمة القاهرة وتسمى بها اعلن اسلامه سنة ٣٥٦هـ - ٩٦٦م ، ولزم الصلاة ودراسة القران واصبح شيخا عارفا بالتفسير والنحو والسير توفي سنة (٣٨٠هـ - ٩٩٠م) ؛ابن خلكان : ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ، (ت٦٨١هـ -١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٩٤ ، ج٧ ، ص٣٧ .

[٢٥] القفطي، اخبار العلماء، ص٢٨٢-٢٨٣.

[٢٦] القفطي، أخبار العلماء، ص٢٨٣.

[٢٧]هو ابو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد القالي اللغوي ، ولد في مدينة ملاذ كرد في ديار بكر ، سنة ٢٨٨هـ - ٩٠١م ، فنشأ بها ورحل الى بغداد سنة ٣٠٣هـ - ٩١٤م ، لطلب العلم والتحصيل ، لقد كان القالي احفظ اهل زمانه باللغة واوصلهم بعلم النحو اقام في بغداد ثم رحل عنها الى قرطبة سنة ٣٣٠هـ -٩٤١م ، توفي سنة ٣٥٦هـ - ٩٦٧م؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٢٢٦ .

[٢٨]ابو الحسن المؤيد بن محمد علي الطوسي الاصل النيسابوري الدار ، ولد سنة ٥٢٤هـ - ١١٣٠م ، فقيه محدث وشاعر فارسي كان اعلى المتأخرين اسنادا لقي جماعة من الاعيان واخذ عنهم وسمع صحيح مسلم وسمع صحيح البخاري وسمع الموطأ وسمع تفسير القران الكريم وسمع ايضا من جماعة من شيوخ نيسابور وذاع صيته واشتهر وتفرد بهذا العلم في اخر عصره توفي سنة ٦١٧هـ - ١٢٢٠م بنيسابور؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٣٤٥ .

[٢٩] القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص٤٧٤.

[٣٠] متز، الحضارة الإسلامية، جـ١، ص٣٣٣.

[٣١] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠٥.

[٣٢] المصدر نفسه، ص٢٠٥.

[٣٣] مصطفى، المدن في الإسلام، جـ٢، ص٦٩٩.

[٣٤] القزويني، آثار البلاد، ص٤٧٤.

[٣٥] القزويني، آثار البلاد، ص١٥٨.

(٣٦) عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٣.

(٣٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٨-١٨٩.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٨٩.

(٣٩) حركة باطنية هدامة اعتمدت التنظيم السري العسكري ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الالحاد والشيوعية والاباحية وهدم الاخلاق والقضاء على الدولة الاسلامية سميت بهذا الاسم نسبة الى حمدان بن قرمط بن الاشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ /٨٩١م؛ ابن الجوزي، الشيخ الامام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (ت٥٩٧هـ- ١٢٠٠م)، القرامطة ، ط٥ ، تحقيق: محمد الصباغ ، مطبعة المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٣-١٤.

(٤٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٩.

(٤١) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار، بيروت، ١٩٦٤م، ص٧١.

(٤٢) عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٣.

(٤٣) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص١٤٢.

(٤٤) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بلا.ت، جـ١٠، ص٢٤٢.

(٤٥) المصدر نفسه، جـ١٠، ص٢٤٢.

(٤٦) ابن منظور، لسان العرب، جـ٦، ص٩٤-٩٦.

(٤٧) طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧م، ص١٢٢.

(٤٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٣٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، جـ١١، ص٢٧٢.

(٤٩) المصدر نفسه، جـ١١، ص٢٧٢.

(٥٠)ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي الملقب بنظام الملك ولد سنة ٤٠٨هـ - ١١٠٧م ، في احدى قرى الراذكان التابعة لولاية طوس وعمل والده دهاقا في منطقة بيهق التابعة لطوس نشأ نظام الملك فقيرا لكنه كان طموحا عالي الهمة اهتم بتعلم الكتابة والحساب وكان يتقن اللغة العربية والفارسية وبرع فيهما ولفتت كفاءته ونبوغه انظار امراء السلاجقة فاتخذه الب ارسلان كاتبا ثم وزيرا له بعد اعتلاءه عرش السلطة السلجوقية ٤٣٣هـ- ١٠٤١م ، ٥٨٣هـ-١١٨٧م ، توفي نظام الملك سنة ٤٨٥هـ - ١٠٩٢م؛ الطوسي : نظام الملك ابو الحسن بن علي بن اسحاق (ت٤٨٥هـ -١٠٩٢م) ، سير الملوك او سياسة نامة ، ترجمة: يوسف بكار دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ٢٠٠٧ ، ص١٧ ، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، الدار الوطنية بغداد ١٩٩١ ، ج٥ ، ص٦٤ .

(٥١) معروف، ناجي، مدارس قبل النظامية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٣م، ص١٣-١٤.

(٥٢) مصطفى، المدن في الإسلام، جـ٢، ص٧٠٦.

(٥٣) المرجع نفسه، جـ٢، ص٧٠٦-٧٠٧.

(٥٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٥.

(٥٥) البيمارستانات: بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض او عليل وستان مكان او دار المرضى ، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان؛ ابن منظور لسان العرب ، ج٦ ، ٢١٧.

(٥٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٥٧) نيسابور: مدينة واسعة قصبتها ايران شهر لها مياه جارية وعمارات متصلة؛ اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب بن واضح ت٢٩٢هـ - ٩٠٤م البلدان ، تحقيق محمد امين ضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢ ، ص٩٥ .

(٥٨) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها العظمى وتسمى مرو الشاهجان ومعناه مرو الحجارة البيضاء يقتدح بها ، واما الشاهجان فمعناها نفس السلطان وسميت بذلك لجلالتها؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١١٢-١١٣.

(٥٩) المدرسة العميدية: هي المدرسة المنسوبة ببناءها إلى محمد بن المنصور النسوي المتوفى سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م والمعروف بعميد خراسان، وكان كثير الرغبة في عمل الخير فبنى المدرسة العميدية في مدينة مرو، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ٩، ص١٢٨-١٢٩.

(٦٠) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان وتعد اكبر مدينة بضواحيها؛ المقدسي : احسن التقاسيم ، ص٧٥ .

(٦١) الخطط المقريزية ، جـ٤، ص٧٤.

(٦٢) المصدر نفسه، جـ٤، ص١٧٤.

(٦٣) الوقف: هو حبس عين المال وتسبيل منفعته طلباً للأجر من الله تعالى ويقصد بالعين الشيء الذي يمكن الانتفاع به مع بقاء اصله مثل البيوت والاراضي وغيرها ، والوقف صدقة جارية من اموال الواقف في حياته ويستمر بعد مماته؛ التويجري، محمد بن ابراهيم بن عبدالله ، موسوعة الفقه الاسلامي ، بلا.م ، ٢٠٠٩م ، ج٣، ص٦٨٤.

(٦٤) ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، بلا.م، ١٩٨٦م، ص٣٠٥.

(٦٥) المرجع نفسه، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٦٦) معروف، مدارس قبل النظامية، ص١٩.

(٦٧) المرجع نفسه، ص١٩.

(٦٨) عبد الرحمن بن محمد المغربي ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م، مقدمة ابن خلدون، مطبعة دار العودة، بيروت، بلا.ت،

(٦٩) المقريزي، الخطط المقريزية ، جـ٢، ص٣٦٣.

(٧٠) المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٦٣.

(٧١) القفطي، أخبار العلماء، ص٢٧١.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٢٧١.

(٧٣) مصطفى، المدن في الإسلام، جـ٢، ص٧١٥.

(٧٤) المرجع نفسه، جـ٢، ص٧١٥.

(٧٥) أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٧م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تعليق: حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، جـ١، ص٤٦٦.

(٧٦) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث، بيروت، بلا.ت، جـ٤، ص١٤٦.

(٧٧) أحسن التقاسيم، ص٣٣.

(٧٨) مصطفى، المدن في الإسلام، جـ٢، ص٧٢٣.

(٧٩) مصطفى، المدن في الإسلام، جـ٢، ص٧٢٦.

(٨٠) المنتظم، جـ٩، ص١٣٠.

(٨١) الكامل في التاريخ، جـ١٢، ص٦٧.

(٨٢) هو علي بن احمد الجرجائي ابو القاسم نجيب الدولة ولد في جرجرايا بسواد العراق وسكن مصر وتنقل في الاعمال السلطانية واستوزره الخليفة الظاهر الفاطمي ٤١١هـ-١٠٢٠م / ٤٢٧هـ -١٠٣٥م سنة ٤١٨هـ - ١٠٢٧م ، ورفع مكانته فاستمر في الوزارة ملقبا بالوزير الاجل الاوحد صفي امير المؤمنين وخالصته توفي سنة ٤٣٦هـ - ١٠٤٥م؛ الزركلي : خير الدين، الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط٧ ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٦ ، ج٤ ، ص٢٥٤ .

(٨٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٣٣.

(٨٤) المقريزي، الخطط المقريزية، جـ٢، ص٢١٢.

(٨٥) الرحيم، عبد الحسين مهدي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بلا.مط، بغداد، ١٩٩٤م، ص٦٢٧.

(٨٦) السمهودي، وفاء الوفا، جـ١، ص٢٧٠.

(٨٧) ينتسب الساسانيون الى جدهم الاعلى ساسان الذي كان يحتل منصب الكاهن الاعلى في معبد النار انا هيتا في مدينة اصطخر وكان ساسان متزوجاً من عائلة البارزنجين الحاكمة في ذلك الاقليم وبعد وفاته حل محله ابنه بابك في هذه الوظيفة ويعد بابك هو المؤسس الحقيقي للأسرة الساسانية؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ٣٨. الثعالبي عبدالملك محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ /١٠٣٧م) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، ترجمة هـ زونتبرغ ، المطبعة الوطنية ، باريس ، ١٩٥٠م ، ص٤٨٠.

(٨٨) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٢٧٠.

(٨٩) القفطي، أخبار العلماء، ص٤١٥.

(٩٠) القفطي، أخبار العلماء، ص٤١٥.

(٩١) المصدر نفسه، ص٤١٥.

(٩٢) هو ابو العباس احمد ابن طولون ولد في مدينة بغداد سنة ٢٢٠هـ - ٨٣٥م ، وعني به ابوه عناية فائقة فعلمه الفنون العسكرية وتلقى الفقه والحديث وكان من ادرس الناس واعلمهم به وهو امير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام في الفترة من ٢٥٤هـ- ٨٦٨م / ٢٧٠هـ - ٨٨٤م ، كان احمد بن طولون والي الدولة العباسية على مصر ثم استقل بمصر عن الخلافة العباسية وتمدد باتجاه بلاد الشام توفي احمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ - ٨٨٤م؛ الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، (ت٧٤٨هـ - ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الاسد مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨١ ، ج١٣ ، ص٩٤-٩٦ .

(٩٣) المقريزي، الخطط المقريزية ، جـ٢، ص٢٦٦.

(٩٤) اصبهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن واعيانها وهي تعد من نواحي الجبل سميت باصبهان نسبة الى اصبهان بن فلوج بن لنطي بن يونان بن يافث هذا الاسم هو اسم فارسي مركب فكلمة الاصب تعني: البلد وكلمة هان تعني: الفارس أي ان معناها بلاد الفرسان؛ اليعقوبي البلدان ، ص ٧٨.

(٩٥) المقريزي، الخطط المقريزية، جـ٢، ص٩٦.

(٩٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٦١-٦٣.

(٩٧) المصدر نفسه، جـ٣، ص٦١-٦٣.

(٩٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٨٨.

(٩٩) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٣، ص٢٨٤.

(١٠٠) المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٨٤.